المزارات التى تقع خارج المدينة

قرية مسجد قباء : «قبة الإسلام»

هى قرية ذات حدائق ، وبساتين غنَّاء . بها مائتين منزل ، وتعتبر منتجع ومنتزه أهل المدينة . بها جامع «قباء» وقد بناه سيد البشر ، ﷺ كالدرة الفريدة ، يُصعد إليه بسبع درجات ، فى فناءه النخلة التى غرسها المصطفى بيديه الطاهرتين ، وكذا شجرة «السدرة» . وتحت هذه الشجرة بئر ماء ، ومَنْ تيسر له صلاة ركعتين فى المحراب النبوى . بهذا الجامع تُستجاب كل دعواته . وكان النبى الأمين ﷺ قد بقى ثلاثة أيام فى هذا الموقع عند هجرته الأولى من مكة إلى المدينة . وقد أمر ﷺ ببناء مسجد فى هذا الموضع ؛ كان صغيراً ، فى بادئ الأمر ، ثم أعاد بناءه وتوسيعه بما تيسر له من غنائم فى غزوات تبوك ، وأحد ، وحنين . طول هذا الجامع من الشرق إلى الغرب مائة وعشرون خطوة . أما عرضه فستون خطوة . وبداخله قباب مُقامة على أربعين عموداً ، وعلى المحراب نُقشت هذه الآية الكريمة : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (*) وعلى المنبر ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ (**) كما كُتِبَ على المحراب . ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ﴾ (***) .

وفى الركن الشمالى من هذا الجامع يوجد محراب آخر ، كان الرسول الكريم يتعبد فى موضعه ، ويتلو فيه آيات الكتاب ، ويسمونه «المحراب المُكْشف» حيث كان بهذا المحراب ثقب ، صغير ، مفتوح تجاه مكة المكرمة ، وكان الرسول الكريم دائماً ما ينظر منه ناحية مكة ، شوقًا إلى موطنه الأصلى ، ومسقط رأسه الطاهرة .

ومسجد سيدنا على يقع ناحية القبة من هذا الجامع . ويتسع مسجد سيدنا على هذا إلى حوالى خمسين رجلاً .

وما أن تتجه من هذا الموقع ناحية القبلة ، وتسير نحو خمسين خطوة ، حتى تجد نفسك أمام مسجد السيدة عائشة . وفى مواجهة الطريق تماماً يوجد «بئر أديش» ، وكان الرسول ﷺ ، قد بدأ فى حفره بشخصه الكريم ، ثم اكتمل هذا البئر على يدى

(*) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(**) سورة النحل آية ٩٠ .

(***) سورة التوبة آية ١٠٨ .

الصحابة الميامين . ومَنْ يشرب من ماء هذا البئر مدة أربعين يومًا ،يُشفى بإذن الله من كل أسقامه وكنت أنا العبد الفقير قد أُصبت بمرض « الخفقان » من جراء شرب ماء بارد ، عندما كنت أتصبب عرقًا خلال فرارى وهروبى بعد هزيمة أردل "Erdel" (١) التى منينا بها أمام الكفار . والحمد لله ، والشكر له فبعد أن شربت من هذا الماء ، بضع أيام ، وبعد أن اغتسلت به عدة مرات ، شُفيتُ ، وعوفيت من هذا الداء بعون الله . وتُسقى الحدائق والبساتين المجاورة من مياه هذا البئر .

وتكثر فى هذه المنطقة زراعة الليمون ، والنارنج ، ويُحكى أن سيدنا عثمان عندما كان خليفة ، حضر إلى هذا المكان ذات يوم ، وبينما كان يتوضئ من هذا البئر ، سقط من يده خاتم النبوة ، وبالرغم من كل أعمال البحث التى بذلوها ، فلم يستطع أى شخص أن يجده . وتطير الناس من ذلك ، ورددوا أن عثمان بفقده خاتم النبوة ؛ قد فقد طالعه . وقد استشهد سيدنا عثمان بعد أربعين يومًا من فقده خاتم النبوة .

حديقة صوقوللى:

حديقة كروضة من رياض الجنة ، تستحق الزيارة ، والمشاهدة ، ومَنْ يشاهدها بقصورها المزدانه ، ودواوينها المزركشة ، ورياحينها الفواحة ، ينشرح صدره ، وتُروى من مياه البئر السابق الإشارة إليه . وهى مليئة بالفل ، والنسرين ، والورود المختلفة الألوان ، وإن كان يغلب عليها اللون الأحمر . وبها قصور غاية فى الرقة ، والإحتشام.

ثم على الزائر أن يتوجه بعد ذلك لمشاهدة النخلتين اللتين غرسهما النبى الأمين بيديه الكريمتين . ويجب على الزائر أن يُصلى ركعتين لله هناك .

وهناك داخل حدائق المدينة ؛ بئر يسمى « بئر عروة بن الزبير » مَنْ يشرب منه

---

(١) هزيمة أردل : "Erdel"

تقع ضمن حدود رومانيا الحالية . وكان أول اتصال للعثمانيين بها فى زمن مراد الأول ، حينما أراد سنة ١٣٩١م + ٧٩٤هـ التوجه ضد ويدين ، ثم كانت الحملة الثانية سنة ١٤٢٦م = ٨٣٠هـ والحملة الثالثة سنة ١٤٣٢م = ٨٣٦هـ . استطاع ملك المجر هونياد أن يوقف الهجمات العثمانية ، إلا ان الجيش العثمانى دخلها بقيادة خادم شهاب الدين باشا. وتوالت الحروب العثمانية عليها بعد عصر محمد الفاتح – ساد الهدوء والسلام المنطقة بعد سنة ١٦٦١م وارتبطت بسياسة صداقة مع الدولة العثمانية فى زمن عائلة كوبريلى التى تولت الصدارة بسياسة صداقة مع الدولة العثمانية فى زمن عائلة كوبريلى التى تولت الصدارة إلا أنها – وبالدسائس الغربية – بدأت فى قطع وانتهاك هذه السياسة ودخلت بالكامل تحت سيطرة النفوذ النمساوى بعد معاهدة كارلوفجه سنة ١٦٩٩م = ١١١١هـ . وتحولت اردل إلى ولاية نمساوية فيما بعد . (المترجم)

ينتفخ ، ثم بئر قزاعة ؛ وهو قريب من البئر السابق ، ويُقال أن سيدنا ابراهيم هو الذى حفره . وقد توضأ النبى الأمين من هذا البئر .

وداخل بستان نخل الخضرتين ، مياه عجيبة ، ولها خصائص عديدة ، وخاصة للسيدات ؛ فمثلا لو كانت ولادة إحدى السيدات متعسرة وشربت من هذا الماء ، فإن جزءاً من جسمها ترتخى عضلاته ، ويتسع ، وبعدها يرى المعصوم الدنيا . وكذلك من تشرب منه وقت حيضها ، فإن الحيض ينقطع ، وتصبح نظيفة طاهرة . وجميع نساء ، وفتيات المدينة ، يعرفن هذا الحوض ، ويغتسلن فيه . ولذا فإن الآهالى يطلقون على بستان الخضرتين هذا (بستان النساء) ولا يدخله غير النساء قط .

وجامع القبلتين ؛ على بعد ثلاثمائة خطوة ، من الموقع السابق ، وهو ثالث مسجد بناه الرسول الكريم ﷺ . وعلى مسافة مائة وخمسين خطوة منه يقع مسجد سَلْمان الفارسى ، ومسجد سيدنا عثمان على بُعد مائة خطوة فقط من مسجد سَلْمان ، وبالقرب منه يرى الزائر مسجد على « رضي الله عنهم جميعاً) .

زيارة سيدنا حمزة :

لماكان موقع سيدنا حمزة ، يقع خارج المدينة بمسافة بعيدة ، فقد توجهنا إليه فى جمع غفير ، حيث بلغ مائة وخمسين فارساً ، مسلحاً ، فمرقده رضي الله عنه حيث كانت موقعة أُحد . وتقع أرض المعركة فى الطرف الشمالى منه .

وما زال يهود خيبر يُفعم الحقد قلبهم ، فإذا أُتيحت لهم الفرصة ، لا يتورعون عن قتل أي مسلم . وفى مسيرتنا ، كنا نشاهد النخل وقد إنحنت جزوعه ، من ثقل ما يحمل من أسباط البلح – وعلى بعد ألف خطوة يجد الزائر : « مصطبة الرسول الكريم » ؛ حيث ارتدى عليه السلام درعه فى هذا الموقع ، وهو متجه إلى غزوة أحد . ويجب الترجل عند هذا الموقع ، عند التوجه لزيارة سيدنا حمزة ، ويكون الأجر والثواب بذلك مُضاعف . وقمت أنا العبد الحقير بالترجل ، ووضعت طرف ثوبى فى حزام خصرى ، معطياً فرسى لغلامى ، وبدأت المسير تحت وهج الهجير ، مردداً سورة ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① ﴾ (*) ؛ وبعد ساعة وصلنا إلى :

(*) سورة التكاثر آية ١ .

وادى خيمة الرسول:

وقد كان موقع جيش الرسول ﷺ فى هذا الوادى ، وبه إيوان صغير ، وكانت خيمة إحرام حضرته عليه السلام فوق هذا الإيوان . وصلاة ركعتين هنا من السنن المحببة ؛ ففى هذا الموقع صف الرسول جنده ، صفوفًا متراصة . وجعل سيدنا حمزة مقدمته وخالد بن الوليد ميمنته . وقد نويت أنا العبدُ الضعيفُ مع كل الرجال « نية الغزو » واستللنا السيوف واضعين إياها فى خصورنا .

وفى شمال الموقع ، وعلى بعد يبلغ ، حوالى خمسمائة خطوة ، يوجد « إيوان عاشوراء » ، وهو المكان الذى يقوم فيه الشاميون بإعداد طعام العاشوراء (*) وتوزيعه على الحجاج . وإلى جواره يوجد إيوان أمين الصرة . وإيوان الملاّ ، وإيوان شيخ الحرم . وكان صفوة الخلق ﷺ يُشرف هذا المكان كل عام لزيارة سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وإعداد العاشوراء .

آداب الزيارة:

أما مزار سيدنا حمزة ؛ فعلى بُعد مسيرة ساعة واحدة من المدينة ، وهو على شكل قبة كأنها مقبرة ، مدخلها من باب يُفتح على القبلة ، يطل على فناء ، والفناء مفروش بحجارة بيضاء . وتحت هذه القبلة ، وناحية الكعبة فى الفناء ، يرقد رضي الله عنه ، داخل صندوق رباعي الأضلاع ، والصندوق داخل مقصورة رباعية أيضًا . ومَنْ كان يحمل سيفًا ، فعليه أن يضعه داخل صندوق سيدنا حمزة ، وبعد فترة يخرجه ، وسط تكبيرات حارسى المقبرة ، ويتمنطقه ، وسط تهليلاتهم ، فيكسب ثواب الغزوة .

وبجوار رأس سيدنا حمزة ، دُفِن الشريف صالح وهو من ذريته ، فسيدنا حمزة من الهاشميين ؛ هو ابن عبد الملك ، وعم الرسول . أسلم هو ، وسيدنا عمر معًا ، قتل العديد من الكفار فى غزوة أحد ، واستشهد رضي الله عنه ، فى نفس المعركة وتمذق جسده الطاهر .

(*) طعام عاشوراء : طعام يُعد بمناسبة العاشر من محرم من كل عام هجري ، ويتكون من اثنا عشر حبة من الحبوب ، يسوَّى حتى أن ينضج ، ويوزع على الآهل ، والآقارب ، والجيران ، والمساكين ؛
انظر : للمترجم القيم الأسرية بين الأصالة والمعاصرة .. دار الآفاق العربية – القاهرة ١٩٩٩م) المترجم.

وفى فناء الضريح ؛ يوجد بئر ماء. ولحكمة إلهية ؛ فإن تراب هذه المنطقة المحيطة بالضريح أبيض ، مع أن تراب هذه المنطقة بأسرها أحمر ، وسبب هذه الحمرة ، هو الدماء الذكية ، التى سالت بسبب سقوط سن النبى هنا . وإذا ما مسح الزائر أسنانه بهذا التراب ، فإنه يأمن ألم الأسنان ، ونزلات البرد . وقد جُرب ذلك ، فالله على كل شئ قدير .

وعلى بعد خمسمائة خطوة شمال هذه الربوة يقع جبل أحد ، وهو جبل أمْلَس مرتفع ، جِباله ، وصخورة حمراء ، به مغارات كبيرة ، وفى نفس المنطقة ؛ وادى يطلقون عليه « وادى مقتل حمزة » ، وهو مكان مهيب . وقد إختبئ الكفار فى هذه المغارات ، وانقضوا على سيدنا حمزه الذى استشهد ، وهو يقاتلهم . وقد عدنا مسرعين من هذه المنطقة ، بعد أن صلينا ركعتين لله . واتجهنا جنوبًا ، وسرنا نحو مائتى خطوة حتى وصلنا إلى :

مزار ميدان الشهداء:

فقد استشهد فيه أكثرمن ألف من الصحابة ، ولم تُقام لهم أى قباب ، ولكن لبعض من مشاهيرهم شواهد قبور . ولكن عقب أمطار غزيرة ، حدث سيل عارم ، فجرف التراب ، والحصى الموجودة فوق أجساد ما بين سبعين أوثمانين شهيداً ، لدرجة أن أجسادهم الطاهرة ظهرت للعيان ، وما أن سمع أهل المدينة بذلك ، حتى توافدوا ، فرأوا ما قرت به عيونهم ، وإطمئنت قلوبهم ، فقد رأوا الأجساد طرية ، ندية ، وكأن استشهادهم قد حدث توًا . فالبعض دماءهم الذكية ، وكأنها ما زالت تسيل ، والبعض ؛ وكأنه مضطجع ، والبعض مقطوع الرأس ، والبعض بدون أذرع أو سيقان ، والبعض ، وكأنه فى سنةٍ من النوم . وهكذا شاهد الناس جميعًا بعيونهم عظمة الشهادة فى سبيل الله ، والدين . وهفت نفوسهم إلى الشهادة فى سبيل رفعة الدين . وقام المدنيون بتورية هذه الأجساد الطاهرة من جديد ، وأمر شيخ الحرم ، بإقامة جدار طوله أربعمائة خطوة ، ناحية الوادى حتى يمنع وصول السيول مرة أخرى .

وشرط الزيارة هنا ؛ أن تكون وقت السحر ، وأن يكون الزائر عاري الرأس ، حافي

القدمين ، ولا يمكن أن تكون الزيارة ظهراً ، حيث أن الأرض ، وما عليها ، من رمال ، وتراب تكون كالنيران الملتهبة . وإذا لبس الزائر فى قدميه خفًا ، أو ما شابه ذلك ، أُعتبر ذلك مخلاً بحرمة المكان . فكل هذه الصحراء مرقد للشهداء . والجميع ؛ صغيراً كان ، أوكبيراً يتحرج من الزيارة بدون وضوء .

وخلال شهرى محرم وصفر من كل عام يُقرأالمولد الشريف [1] هنا ، وعند مقبرة سيدنا حمزة . يكتظ المكان بالمؤمنين ، وتجيش نفوس الحاضرين فى كل عام ، تحت تاثير الإنشاد الدينى ، والدعاء ، والإبتهالات التى تتردد أصداءها فى المكان كله ، لدرجة أن البعض تخور قواه ، ويلقى ربه من أثر الوُجد الذى تفعم به النفوس ، ويعم المكان ، فيدفن حيث يكون فى صحبة الشهداء .

وهنا تُختم زيارة أماكن الزيارة التى تقع خارج المدينة

---

(١) المولد عرف الادب التركى نوعًا من الشعر الدينى ، عُرِف « بالمولد » ، وهى مدائح نبوية . وأهم هذه الأعمال ؛ هو « وسيلة النجاة » لـ « سليمان چلبى » [٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م] ، الذى نجح فى التعبير عن عواطفه الدينية ، بطريقة صادقة، اقنع بها الطبقات المثقفة جنبًا إلى جنب مع الطبقات الشعبية .

وقد استخدم المولد للدلالة على تلك القصائد التى تُنشد بمناسبة المولد النبوى الشريف ، وما يصاحب الذكرى من إبتهالات دينية . وقد اختلفت الآراء الدينية حول الإحتفال بالمولد ، فمن يقول أنها بدعة ، ومن قائل أن الإنشاد وقراءة القصائد الدينية ليس بدعة ، وإنما البدعة هو ما يصاحب ذلك من طبل ، وطرق للدفوف وما شابه ذلك ، ومن قائل إنها بدعة حسنة ، وأن العرب هم أول من احتفلوا بمولد النبى ﷺ بزيارة المنزل الذى ولد فيه فى يوم ميلاده . وأقام الفاطميون الإحتفالات الباهرة فى مصر ، ثم انتشرت حتى شملت العالم الإسلامى .

وبدأ الإحتفال بالمولد النبوى ، فى الدولة العثمانية ، ياخذ شكلاً رسميًا ، منذ عهد مراد الثالث (٩٨٢ – ١٠٠٣هـ / ١٥٧٤ – ١٥٩٥ م) . وأنه قد أخذ مكانًا فى تشريفات السلطان منذ سنة ٩٩٦ هـ ، وما زال يُنشد إلى يومنا هذا ، فى تركيا فى مناسبات كثيرة خاصة مولد سليمان چلبى . انظر : [د. نجلاپك اولجاى ، إسلامى تورك آدبياتى ، استانبول سنة ١٩٦٦ ص ١٤٠ – ١٥٣] .

ومولد سليمان چلبى هذا ، كتبه مؤلفه وهو فى الستين من عمره ، حين كان يعمل إمامًا لمسجد بورصه ، فى عهد بايزيد الثانى (٨٥١ – ٩١٨ هـ / ١٤٤٦ – ١٥١٣ م) رغبة منه فى إظهار فضائل الرسول محمد ، ومكانته بين الرسل.

وعدد النسخ الموجودة فى مكتبات إستانبول ، وحدها ، إحدى وخمسين نسخة ، لموالد مختلفة . وأرجح الآراء حول عدد أبيات هذه القصيدة هى أنها ٣١٧ بيتًا .

وأهم المباحث التى تتناولها القصيدة ، توحيد البارى ، والتماس الدعاء ، وبيان خلق العالم ، بيان فطرة العالم ، وروح محمد ، وبيان ظهور النبى محمد ، وبيان معجزاته ﷺ ومعراج النبى ، وهجرة النبى من مكة إلى المدينة ، بيان ما يجب أن تكون عليه أمة محمد ، ثم بيان بالنصح والارشاد . انظر : [د. الصفصافى أحمد المرسى ود. ادريس نصر، دراسات فى الشعر التركى ، القاهرة سنة ١٩٧٨ م مولد سليمان چلبى ص ٣٥ – ٥٣] .

أوصاف زيارة الوداع:

بعد أن تتم جميع الزيارات و يشترط على الزائر أن يغتسل ، ويلبس ملابس طاهرة نظيفة ، ويدخل بأدب جم من باب « القلعة » وما أن يصل الزائر ، إلى المسجد النبوي الشريف ، فعليه أن يدخل من باب جبريل الواقع ناحية قدمي النبي الكريم ، وعليه أن يقرأ الفاتحة ، والدعاء التالى :

« السلام عليك يارسول الله . » . [وبعد أن ينتهى من دعاءه ، وتضرعاته ، عليه أن يتقهقر إلى الوراء مردداً .. « الوداع يارسول الله .. الوداع . »] .. والسلام .

والحمد لله ، فقد أتممنا زيارة الوداع على هذا لنحو . وكتبت أنا العبد الفقير إلى ربه من الآيات والأقوال ماسمحت به قدرتنا .

والمعروف أن المدينة المنورة تقع على خط عرض ٢٠ْ و ٢٧ دقيقة . وخط طول ١٣ ساعة ، وخمس دقائق .

* * *

obeikandl.com